جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مرحلة الدكتوراه/ لغة

معاني الأبنية

الدلالة التصريفية في القرآن الكريم

أ.د. خولة محمود فيصل

قبل أن نشرع في بيان الدلالات للصيغ الصرفية سنبين مفهوم. الدلالة التصريفية . فهذا المصطلح مركب من جزأين : (دلالة) و(تصريف) أما الدلالة فهي مصدر الفعل: دل يدل ، قال الجوهري : وقد دله على الطريق يَدُلُّه دلالةً ودلالةً ودلولة، والفتح أعلى، والدال واللام عند ابن فارس أصلان : أحدهما : وهو ما يتعلق بموضوعنا - إبانة الشيء بأمارة تتعلمها ومنه قولهم : دللتُ فلانا على الطريق والدلالة اصطلاحاً "هي كون الشيء بحالةٍ يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول) أما التصريف فهو مصدر الفعل صرف، ومعناه التحويل والتغيير..

قال الخليل : " والتصريف : اشتقاق بعض من بعض . وصرفيات الأمور : متصرفاتها أي تتقلب بالناس وتصريف الرياح : تصرفها من وجه إلى وجه، وحال إلى حال. ومن هذا المعنى أخذ التصريف في الكلمة وهو تغييرها وتحويلها إلى أشكالٍ عدة والتصريف في الاصطلاح كما عرفه ابن جني : هو أن تأتي إلى الحروف، الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرفٍ، أو تحريف بضربِ من ضروب التغيير أو هو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكليم التي ليست بإعراب. فالدلالة التصريفية : هي الأثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة ،ومن التغييرات التي تحولها الى أبنية مختلفة، بالإضافة الى دلالة المادة المعجمية، وبعبارة أخرى : هي الأثر المعنوي المستفاد من تقاطع الدلالة المعجمية مع دلالة البنية وتحويلها إلى أبنية مختلفة. وقال ابراهيم أنيس في حديثه عن الدلالة الصرفية هناك نوع من الدلالة يستمد عن طريق الصيغ وبنيتها، فلكل بنية دلالة معينه ، والبنية من ضمن ما يحدد نوع الكلمة هل هي من باب الأسماء ، أم الأفعال ، أم المشتقات أم المصادر، ومن الوان الدلالة التصريفية تقسيم الكلمات إلى مجموعات تربط بين أفرادها دلالة خاصة ،كدلالة ما كان على وزن (أفعل) من الأفعال على الدخول في المكان والزمان نحو : أعرق وأبحر ، وأصبح وأمسى و دلالة (فعّل) على التكثير و(فاعل) على المشاركة، ودلالة (استفعل) على السؤال والطلب. والتحول. وما كان على (فعلان) من المصادر فإنه يدل على الاضطراب. يقول سيبويه: ومن المصادر التي جاءت على بناء واحد حين تقاربت المعاني قولك : النزوان والنقزان؟ وإنما هذه الاشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع وعلى حذوه سار ابن جني فقال : وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو : الزعزعة والقلقلة والصلصلة.

الدلالة التصريفية في القرآن الكريم لقد استنبط المفسرون مما توحي به الصيفة الصرفية كثيراً من المعاني اللطيفة، والأحكام الفقهية والعقدية التي كانت سمة لبعض الفرق المختلفة، ومن هذه الاستنباطات مع الأمثلة ما يأتي :

1- **قال الله تعالى :** (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) [البقرة ٩١].
2- **وقال تعالى**: (يخادعون الله وهو خادعهم) [النساء : ١٤٢] من المعلوم أن صيغة (فاعل) تدل على المشاركة ، نحو: ضارب زيد عمر فان ضارب نسبة الضرب الى زيد متعلقاً بعمرو مشاركاً له فكيف تتصور المشاركة في الخداع بين الله تعالى والمنافقين ؟

ذهب بعض المفسرين إلى أن (خادع) بمعنى (خدع) فينفي بذلك المشاركة، قال السجستاني : يخادعون الله : بمعنى يخدعون ، أي يظهرون غير ما في نفوسهم ، وقيل : يخادعون الله ، أي يظهرون الايمان بالله. جل وعز، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ويضمرون خلاف ما يظهرون . فالخداع منهم يقع بالاحتيال والمكر والخداع من الله يقع بأن يظهر لهم من الاحسان ويجعل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستر من عذاب الآخرة لهم فجُمِع الفعلان لتشابههما من هذه الجهة .

3- قال تعالى: (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) [الحج :٢]. إن الصفات الخاصة بالمؤنث لا تدخل عليها التاء نحو: طالق ، وعانس و حائض ومرضع ، فلا يقال حائضة ومرضعة، إلا أن يراد بها معنى زائد عن مجرد التأنيث وهو معنى الفعل ، قال ابن مالك : فإن قصد معنى الفعل جيء بالتاء فقيل هذه مرضعة ولداً غداً أو الآن .

قال الأخفش : وذلك أنه أراد - والله أعلم - الفعل ولو أراد الصفة. فيما نرى لقال مرضع. ويذهب الكوفيون إلى أن الهاء إذا أثبتت في المرضعة فإنما يراد أم الصبي المرضع ، وإذا أسقطت فإنه يراد المرأة التي معها صبي ترضعه ، لأنه أريد الفعل بها فالمرضعة : من القمت الثدي للرضيع ، وهي أبلغ من مرضع في هذا المقام ، فإنّ المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة . فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاع. فإن دخول التاء ها هنا يتضمن فائدة لا تحصل بدونها فتعين الاتيان بها، فالمراد الفعل لا مجرد الوصف ولو أريد الوصف المجرد بكونها من أهل الإرضاع لقبل : مرضع كحائض وطامث فمرضعة يراد به اسم الفاعل الجاري مجرى الفعل وهو أبلغ من مرضع الذي يراد به مجرد الوصف بأنها من أهل الإرضاع .

4- قال الله تعالى: (كأنهم حمر مستنفرة) [المدثر : ٢٥٠]

قال جمع من المفسرين : المستنفرة بمعنى النافرة، جاعلين (استفعل) بمعنى المجرد مثل : قر واستقر، وعجب واستعجب والمستنفرة : الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها . وحملها عليه ، وقرئ بالفتح : وهي المنفرة المحمولة في جمعها له على النفار قرأ نافع وابن عامر : (مستنفَرَة) بفتح الراء ونصب الفاء . وقرأ ابن كثير وعاصم وابو عمرو وحمزة والكسائي : (مستنفرة) بكسر الفاء. والكسرة أولى ، ألا ترى أنه قال (فرت من قسورة) فهذا يدل على أنها هي التي استنفرت ، ويقال : نفر، واستنفر مثل : سخر، واستخر و عجب واستعجب[1] فبالكسر اسم فاعل أجري مجرى الفعل به أي هي التي قامت بالنفار وبالفتح اسم مفعول وقع عليها النفار بسبب شيء قام بتنفيرها .

5- قال تعالى : (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكل يضل من يشاء ويهدي من يشاء) [النحل : ٩٣]

ذهبت القدرية ومن وافقها من الفرق الضالة أن الإنسان يقدر أفعاله بنفسه ويُوجدها بمشيئته دون مشيئة الله مستدلين بذلك على أن معنى (يُضلُ) النسب ، أي ينسبهم الى الضلال، وذلك لأنهم لا يريدون نسبة الفعل لله وهذا التأويل خطأ.

قال ابن قتيبة : (وذهب أهل القدر إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة، ولهم بالهداية ، وقال فريق منهم : يضلهم ينسبهم إلى الضلالة ، ويهديهم : يبين لهم ويرشدهم ، فخالفوا بين الحكمين ونحن لا نعرف في اللغة أفعلت الرجل : نسبته . وإنما يقال إذا أردت هذا المعنى : فعّلت : تقول : سرقته، وخطأه ، وكفّرته .... ولا يقال في شيء من هذا كله : أفعلته، وأنت تريد نسبته إلى ذلك فاقتضت الحكمة أن يخذل الله من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ، ويهدي من يشاء وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الايمان ، يعنى أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان ، والثواب والعقاب ، ولم يبنِه على الإجبار الذي لا يستحق به شيء . من ذلك .

6- أوصى - وصّى

قال تعالى (و أوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) [مريم : ٣١]

لقد فرق الاستاذ الدكتور فاضل السامرائي بين الفعلين فقال : يستعمل (وصّى) لما هو أهم لما فيه من المبالغة ، فهو يستعمل (وصّى) للأمور المعنوية ولأمور الدين، ويستعمل (أوصى) للأمور المادية .

ومن الآيات التي جاء فيها الفعل (وصى) للأمور المعنوية وأمور الدين كما أوردها السامرائي قوله تعالى (و وصى بها ابراهيم بنيه و يعقوب) [البقرة : ١٣٢] وقوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه) [العنكبوت : ٨]

في حين قال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) [النساء : 11]

فجاء بالفعل (أوصى) لأن أمور الميراث من الاشياء المادية .

وعلل السامرائي مجيء (أوصى) في سورة مريم للأمور المعنوية وامور الدين لاقتران الصلاة بالزكاة . وفي قوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه) قرأ نافع وابن عامر وأوصى بها / بالالف وحجتهما أن أوصى يكون للقليل والكثير ووصى لا يكون إلا للكثير وقرأ الباقون (ووصى) بالتشديد وحجتهم أن وصى أبلغ من أوصى لأن أوصى جائز أن يكون مرة ووصى لا يكون الا مرات كثيرة وقال الكسائي هما لغتان معروفتان تقول وصيتك وأوصيتك كما تقول كرمتك وأكرمتك ...

6- جاء - أجاء

قال تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) [القصص : ٢٠] ففي هذه الآية جاء الفعل (جاء) لازماً ، وجاء متعديا بنفسه في قوله تعالى (جاءتهم رسلهم بالبينات) [ابراهيم : ٩]

وقد ورد الفعل مبدوءاً بالهمزة ومتعديا إلى مفعوله في قوله تعالى (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) [مريم : ٢٣]

وقد اختلف في دلالة (أفعل) في هذه الآية ، فذهب المفسرون في هذا الفعل لمذهبين ، فمنهم من رأى أن تعديته بالهمزة. قد نقلت دلالته إلى معنى الإلجاء ، فالمعنى : ألجأها المخاض[1]

قال الزمخشري : " فأجاءها ، أجاء منقول من جاء ، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء. ألا تراك تقول : جئت المكان وأجاءنيه زيد ، كما تقول : بلغته وأبلغنيه[2]

\وذهب فريق آخر إلى عدم انتقال دلالته بعد التعدية، يقال جاءه بكذا وأجاءه، فيكون معنى (فأجاءها) أي جاء بها، فتارة عدي بالباء وتارة بالهمزة[3]